واذا كان غسان كنفاني قد شمل ، بهذه الصفة ، كل من كتب باللغة العربية في الارض المحتلة ، فلأن افراحه بما يجد كانت تشمل الكتاب واشباه الكتاب ، والمقاومين واللامقاومين لان افراحه كانت تشمل اللغة العربية في فلسطين المحتلة . ولذلك ، يمكن لفت الانظار الآن الى ان بعض الاسماء الواردة في مقالات غسان كنفاني عن الادب في الارض المحتلة لا تحتل اكثر من فاصل هامشي في حياة العرب هناك، وبعضها يحتل هامشا سلبيا يتناقض مع تقدير الوهلة الاولى .

وفي الوقت الذي كان يكشف فيه غسان كنفاني غطاء السر عما يكتبه كتاب الارض المحتلة العرب ، كان يدرس نقيض هذه الكتابة واحدى مواد محاوراتها : الكتابة الصهيونية ، ودورها في تشكيل الوعي والكيان الصهيونيين . وبكلمات اخرى : كان يدرس فاعلية الكتابة لدى العدو . فقدم بذلك اول دراسة عربية عن واحد من اخطر الموضوعات الصهيونية . وكان بذلك جديدا وكاشفا ورائدا كعادته .

واذا كانت الصورة التي قدمها غسان عن الادب الصهيوني تفتقر الى تصوير بعض الجوانب المهمة فذلك يعود الى اعتماد غسان على النصوص الانكليزية المختارة من الادب العبري . واذا كانت هذه النصوص المنتقاه وحدها كفيلة بالتدليل على الدور التدميري للثقافة الصهيونية ، فكم ستكون الصورة حالكة حين نطلع على الاصل العبري الصريح الذي لا يراعي متطلبات الحرص على الرأي العام خارج الوطن المحتل !

ان دراسة غسان تتمتع بقدرة كبيرة عن التقاط الجوهري وادراك الخصائص الاساسية للادب الصهيوني ، وتشكل حافزا لدى دارسي اللغة العبرية لمواصلة خط الكشف الذي اسسه غسان كنفاني .

وقد يكون من المفيد ان نعرف ان الادب الصهيوني هو احد وسائل غسيل الدماغ الذي يتعرض له طلبتنا العرب في الارض المحتلة . ولذلك فانه يحمل امكانية تشكيل المكونات الثقافية للشاب العربي الواقع تحت الاحتلال ، بغض النظر عن اتجاه رد فعله عليه . فهو قد يؤثر في شده الى مقدمات التعايش مع نمط الحياة الاسرائيلية ومن ثم الى التخاذل او التساهل تجاه ادعاء الحق الصهيوني على ارض فلسطين . ومن ناحية ثانية يؤثر فيشده الى موقع الرفض لكل جوانب الحياة والفكر الصهيونيين.

★ ★ ★

ويا صديقي غسان !

ان البياض امامي كثير . ودمك الذي يجف ما زال يلون . لقد ودعت مرحلة من حياتي حين كنت اودعك . جئت ورأيت . ورأيتك كيف تذهب . لقد اتسعت مساحة الارض المحتلة ولم يعد ذلك ميزة . ودورة السجون تدور .. تودع وتستقبل . وكل ارض ترى استشهاد ابناء شعبي . ونحن مطاردون في كل مكان . والكاتب ملعون ومتهم بالحياة والكتابة . والوطن هو الوطن ولم تكتب فيه حرفا واحدا . واين هي الارض غير المحتلة في السكون ؟ واين هي الارض المحتلة في الثورة ؟